في ظلال
زيارة الجامعة

السيد عادل العلوي

موسوعة
رسالات إسلامية

رسالة
في ظلال زيارة الجامعة
تأليف ـ السيّد عادل العلوي

نشر ـ المؤسسة الإسلامية العامة للتبليغ والإرشاد
إيران، قم، ص. ب ٣٦٣٤
الطبعة الثانية ـ ١٤٢٤ هجري قمري
التنضيد والإخراج الكومبيوتري ـ حكمت، قم
المطبعة ـ النهضة، قم

شابك ٩ ـ ٧٥ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤
ای. ای. ان. ٩٧٨٩٦٤٥٩١٥٧٥٧
شابك X ـ ١٨ ـ ٥٩١٥ ـ ٩٦٤ (دورة ١٠٠ جلد)

ISBN 964 - 5915 - 75 - 9
EAN 9789645915757
964 - 5915 - 18 - X (100 - Vol. Set)

في ظلال زيارة الجامعة[1]

الحمد لله الهادي إلى الصواب والرشاد، والصلاة والسلام على أشرف الخلق والعباد محمّد وآله الأسياد الأمجاد.

أمّا بعد؛ فلا يخفى أنّ محور الموضوع في رسالتنا الوجيزة هذه سيكون حول دور الإمام عليّ بن محمّد الهادي عليه السلام في تصدّيه لأهل البدع وردّ الشبهات التي أُثيرت في عصره، ونطرق هذا المبحث من خلال (زيارة الجامعة الكبرى) التي رواها الأصحاب عنه عليه السلام بسندٍ معتبر كما هو ثابت في محلّه ونشير إليه، ومقدّمةً نقول:

إنّ الإمام لغةً: بمعنى المتبوع في أفعاله وأقواله، والإمامة بمعنى المتابعة بين الأُمّة وإمامها، وبين الرعيّة وقائدها وسائقها، ومنها صلاة الجماعة والجمعة فإنّها بين إمام ومأموم...

(١) محاضرة إسلامية ألقاها الكاتب في مركز الأبحاث العقائدية بقم المقدّسة يوم ١٢ من شعبان سنة ١٤٢٢ وعلى شبكة الإنترنيت.

والإمامة اصطلاحاً : رئاسة عامّة في أُمور الدين والدنيا بنصّ من الله سبحانه ورسوله ﷺ عند أتباع مذهب أهل البيت عليهم السلام ، وبالشورى وتعيين أهل الحلّ والعقد عند أبناء العامّة والجمهور .

والإمامة عند الشيعة الإماميّة الاثني عشرية تعني المرجعيّة بأبعادها الثلاثة الكلّية ، وهي :

١ ـ المرجعيّة الدنيويّة والاجتماعيّة السياسيّة القياديّة : بمعنى الرئاسة والقيادة العامّة في أُمور الدنيا من إدارة البلاد وحكومتها .

٢ ـ المرجعيّة الدينية والعلميّة والتشريعيّة : بمعنى الرئاسة في أُمور الدين وتبليغه ودفع الشبهات وحفظ الرسالة من الضياع والانحراف الذي ينتهي إلى عدمها ومحقها .

٣ ـ المرجعيّة التكوينيّة : بمعنى الإمامة العامّة لكلّ الخلق والمحوريّة والقطبيّة في عالم التكوين والولاية العظمى في عالم الإمكان وفي ما سوى الله سبحانه وتعالى .

والأئمّة المعصومون من أهل البيت عليهم السلام وإن كانت لهم أدوار مختلفة ومتفاوتة بحسب ظروفهم وعصورهم ، فمنهم من رضي بالصلح كالإمام الحسن المجتبى عليه السلام ، ومنهم من ثار بالسيف كالإمام الحسين سيّد الشهداء عليه السلام ، ومنهم من التجأ إلى الدعاء والعبادة حتّى صار زين العابدين وسيّد الساجدين ، ومنهم من تربّع على كرسيّ التدريس وبيان العلوم والمعارف كالإمامين الباقر والصادق عليهما السلام ، ومنهم من ألجأته الظروف وظلم الطغاة أن يكون سجيناً كالإمام الكاظم عليه السلام ، ومنهم من قَبِل ولاية العهد كالإمام الرضا عليه السلام ، وغير ذلك من

الأدوار المختلفة ، إلّا أنّهم اشتركوا جميعاً في حفظ الرسالة الإسلامية من الضياع والانحراف كلّ بحسب ظروفه ومحيطه ، كما تصدّوا لدفع الشبهات التي تثار بين آونة وأُخرى ، فأوّلاً كان السعي لحفظ أصل الإمامة والخلافة وإرجاع الناس إليها مرّة أُخرى ، بعد أن انقلبوا على أعقابهم وارتدّوا عنها إلّا ما يعدّ بالأصابع ، ثمّ وقع البعض في الإفراط من الغلوّ في حقّ الإمام والإمامة ، ومنهم من وقع في التفريط والتقصير في حقّ الإمام والإمامة ، فكان دور الأئمة حينئذٍ في تصحيح مسيرة الشيعة أنفسهم بردّ الشبهات وإبطال البدع ومحاربة أصحابها ، فاتّخذ الأئمة الأطهار عليهم السلام وشيعتهم مواقف صريحة وصلبة من المنحرفين من الغلوّ والغلاة ومن التقصير والمقصّرين ، وقد أعلنوا عن كفر أُولئك وإلحادهم ، وبيّنوا زيف هؤلاء وبطلانهم ، فمن تقدّم عليهم مارق من الدين ، ومن قصّر في حقّهم زاهق ، ومن لحق بهم ، وتمسّك بحجزتهم ، ولزمهم في معتقداته وسلوكه فهو السابق اللاحق ، فإنّهم النمرقة الوسطى والصراط المستقيم والعروة الوثقى وسفن النجاة ومصابيح الهدى .

وإنّما تصدّوا لأهل البدع حفاظاً على الخطّ الرسالي المحمّدي الأصيل الذي دافع عنه الأئمة عليهم السلام منذ اليوم الأوّل بكلّ ما أُتيح لهم من وسائل وأسباب ولم يدّخروا في هذا السبيل وسعاً وجهداً .

أجل : لقد اندسّ في صفوف شيعة أهل البيت عليهم السلام جماعة خبيثة ـ كالجمرة الخبيثة ـ من أهل الدجل والبدع والأضاليل إلى حدّ الإلحاد والكفر ، حاملين معاول الهدم والتخريب في صرح وكيان الإسلام ومبادئه وتعاليمه السامية ، فأغروا بعض البسطاء والسذّج الذين لا يملكون أيّ وعي وتفكّر وتعمّق . فلقد

انتحل الغلاة بعض الأحاديث ودسّوها في أقوال الأئمة عليهم السلام وذلك لكسب الأنصار والمؤيّدين من جهة، ولإعطاء الصبغة الدينية والشرعيّة على أعمالهم وأقوالهم من جهة أُخرى، ولتهديم الشريعة وتشويهها من جهة ثالثة. وللحصول على المال والمنال والرجال من جهة رابعة.

قال الإمام الرضا عليه السلام: إنّ مخالفينا وضعوا أخباراً في فضائلنا، وجعلوها على ثلاثة أقسام: أحدها الغلوّ، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلوّ فينا كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيّتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا[1].

وفي عصر الإمام الهادي عليّ بن محمّد عليهما السلام كان لهؤلاء الغلاة دوراً فعّالاً، ربما كان من جرّاء حبس الإمام عليه السلام من قبل المتوكّل العباسي في معسكر جيشه في سامراء فاستغلّ هؤلاء عدم حضور الإمام عليه السلام في الساحة للإقامة الجبريّة عليه في مدينة سامراء آنذاك.

ومن رؤوس هؤلاء الغلاة المعاصرين للإمام الهادي عليه السلام علي بن حسكة القمّي ـ وكانت قم آنذاك مهد التشيّع ـ والقاسم بن يقطين، والحسن بن محمّد بن باب القمّي، وفارس بن حاتم بن ماهويه القزويني، ومحمّد بن نصير الفهري النميري، وغيرهم.

لقد اختلق هؤلاء الأحاديث على لسان الأئمة عليهم السلام التي تشمئزّ منها

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام ١: ٣٠٤.

النفوس، ومن بدعهم وأضاليلهم التي حاولوا فيها الكيد للإسلام والطعن به وتشويه واقع الأئمة الأطهار من أهل البيت عليهم السلام ادّعاؤهم أنّ الصلاة والزكاة والصيام وسائر الفرائض جميعها رجل، فاستهتروا بسائر الفرائض والسنن الإلهيّة، وأسقطوا عمّن دان بمذهبهم، بل وأباحوا النكاح من المحارم واللواط، وقالوا بالتناسخ، وما إلى ذلك من المحرّمات والأباطيل.

والأنكى من جميع ذلك أنّهم ادّعوا الربوبيّة للإمام الهادي عليه السلام بأنّه هو الربّ الخالق والمدبّر للكون، وأنّه بعث ابن حسكة ومحمّد بن نصير الفهري وابن بابا وغيرهم أنبياء يدعون الناس إليهم ويهدونهم، وكان هدفهم الأساس هو الاستحواذ على أموال الناس والحقوق والوجوه الشرعيّة التي تُحمل إلى الإمام عليه السلام كما هو ظاهر كثير من الروايات.

وعلى الرغم من الإقامة الجبرية على الإمام عليه السلام في هيمنة خلفاء بني العباس الجائرين، وملاحقة مواليه وشيعته ومحبّيه، فإنّه عليه السلام وأصحابه رضوان الله عليهم لم يألوا جهداً في سبيل تصحيح المسار، والتصدّي لهذه الحركة المشبوهة والمنحرفة ضمن المسؤولية الشرعيّة والمرجعيّة الدينية والعلمية والتبليغيّة المناط به عليه السلام، للحفاظ على الإسلام والمسلمين بكلّ ما حوى من علوم ومعارف واتّجاهات، فقد لعنهم الإمام عليه السلام وأعلن البراءة منهم، ودعا عليهم، وحذّر أصحابه وسائر المسلمين من الاتّصال بهم أو الانخداع بمفترياتهم ودسائسهم، بل وأمر بقتل زعيم الغلاة في وقته فارس بن حاتم، وضمن لقاتله الجنّة، كما ورد في الروايات والتاريخ.

ثمّ الإمام علي الهادي عليه السلام كي يبيّن حقيقة الإمامة بأبعادها ومراتبها

ومقاماتها لظروفه الخاصّة، أبانها من خلال زيارة الجامعة التي وردت لمن أراد أن يزور الأئمة الأطهار عليهم السلام دون غيرهم حتّى فاطمة الزهراء عليها السلام، فإنّها لا تزار بهذه الزيارة، فهي مختصّة بهم لما فيها من بيان مقامات الإمامة والإمام، وقبل الورود في بيان الدلالات فيها، لا بأس أن نذكر السند وما يترتّب عليه من الصحّة والقبول، لإثارة بعض المخالفين ضبابة حول صحّة الصدور.

سند الزيارة

سند زيارة الجامعة الكبرى[(١)] :

في عيون أخبار الرضا عليه السلام الشيخ الصدوق بسنده قال : حدّثنا علي بن أحمد بن محمّد بن عمران الدقّاق رضي الله عنه ومحمّد بن أحمد السناني وعلي بن عبد الله الورّاق والحسين بن إبراهيم بن أحمد بن هاشم المكتب قالوا : حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي قالوا : حدّثنا محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي قال : حدّثنا موسى بن عمران النخعي قال : قلت لعليّ بن محمّد بن علي ابن موسى بن جعفر بن محمّد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام : علّمني يا ابن رسول الله قولاً بليغاً كاملاً إذا زرت واحداً منكم، فقال : إذا صرت إلى الباب فقف واشهد الشهادتين وأنت على غسل، فإذا دخلت ورأيت القبر فقف وقل : الله أكبر ثلاثين مرّة ثمّ امشِ قليلاً وعليك السكينة والوقار وقارب بين خطاك ثمّ قف وكبّر الله عزّ وجلّ ثلاثين مرّة ثمّ ادنُ من القبر وكبّر الله أربعين مرّة تمام مئة تكبيرة ثمّ قال : السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة ...

١ ـ الشيخ الصدوق : ثقة ثقة غني عن التعريف.

---

(١) بحار الأنوار ٩٩ : ١٢٧، عن العيون ٢ : ٢٧٧ ـ ٢٧٨. وبسند آخر في التهذيب (٦ : ٩٥) روى محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه قال : حدّثنا عليّ بن أحمد بن موسى والحسين بن إبراهيم بن أحمد الكاتب قالا : حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي عن محمّد بن إسماعيل البرمكي قال : حدّثنا موسى بن عبد الله النخعي.

٢ ـ عليّ بن أحمد بن محمّد الدقّاق : شيخ إجازة بحكم الثقة (برقم ٨١٦٧ ـ تنقيح المقال).

٣ ـ محمّد بن أحمد السناني الزاهري : حسن (برقم ١٠٣١٨ و ١٠٣٤٤ ـ التنقيح).

٤ ـ عليّ بن عبد الله الورّاق : مهمل (برقم ٨٣٧٨ ـ التنقيح).

٥ ـ الحسين بن إبراهيم المكتب : حسن إن لم يكن ثقة (برقم ٢٧٩٩ ـ التنقيح).

٦ ـ محمّد بن عبد الله الكوفي الأسدي : حسن كان ثقة صحيح الحديث من الأبواب (برقم ١١٠٠٥ ـ التنقيح).

٧ ـ أبو الحسين الأسدي : الظاهر هو محمّد بن أبي عبد الله الكوفي فاسم الأب جعفر ويكنّى بأبي عبد الله ويلقّب محمّد تارةً بالكوفي وأُخرى بالأسدي وكثير من بني أسد من كان يسكن الكوفة، وتكون الواو في السند (حدّثنا محمّد بن أبي عبد الله الكوفي وأبو الحسين الأسدي) إمّا زائدة أو عطف بمعنى الذي وبمعنى هو فيكون ورواه محمّد الذي هو الكوفي والذي هو أبو الحسين الأسدي أيضاً، كما أنّ في سند الصدوق ذكر الاسم واللقب ولم يفصلهما فيكون من الثقاة.

ثمّ اجتماع مشايخ الصدوق في هذا الخبر الشريف وترضّيه والترحّم عليهم يدلّ على حسنهم ووثاقتهم، وأنّ مشايخه بحكمه في القبول والوثاقة، كما أنّ عمل الشيخ الصدوق بروايتهم توثيق عملي لهم. كما أنّ الشيخ روى الرواية هذه عن أربعة أو خمسة من مشايخه ولا يصحّ تواطؤ الجميع على الكذب بأيّ وجه من الوجوه.

٨ ـ محمّد بن إسماعيل المكّي البرمكي : كان ثقة مستقيماً صاحب

الصومعة (برقم ١٠٣٨٨ ـ التنقيح).

٩ ـ موسى بن عمران النخعي : مجهول لم يذكر بمدحٍ أو قدح إلّا أنّه حسن حدساً (برقم ١٢٢٧٦٠ ـ التنقيح).

فالسند حسن ومعتبر بل وصحيح ولا يضرّه كون النخعي مجهولاً، فربما لظروفه الخاصّة والاضطهاد المحدق بالشيعة آنذاك كان سبباً لعدم معرفة شيء عنه.

وقال العلّامة المامقاني في التنقيح : وفي روايته لها دلالة واضحة على كونه إماميّاً صحيح الاعتقاد، بل في تلقين مولانا الهادي عليه‌السلام مثل هذه الزيارة المفصّلة المتضمّنة لبيان مراتب الأئمّة عليهم‌السلام شهادة على كون الرجل من الحسان مقبول الرواية، وإهمالهم ذكره في كتب الرجال غير قادح فيه والعلم عند الله تعالى[1].

كما أنّ الشيخ الأقدم ابن قولويه القمّي قد روى عنه في كامل الزيارات (باب ٩ ـ الولاية على قبر أمير المؤمنين عليه‌السلام).

وكذلك يروي عليّ بن إبراهيم القمّي في تفسيره عنه، ومن يرى توثيق من يقع في طريق ابن قولويه والقمّي واعتبارهم ثقاة وإن لم يكونوا في بداية السند، فإنّه يكون موسى بن عمران النخعي من الثقاة أيضاً.

أضف إلى هذا كلّه أنّ الأصحاب أخذوا بالخبر وعملوا به في مزاراتهم، كما يدلّ على اعتباره علوّ متنه ودلالاته، وإنّ ما فيه كلّه مطابق للأدلّة والبراهين القطعيّة من الكتاب الكريم والسنّة الشريفة والإجماع والعقل، وإنّ مشايخنا في الفقه والحديث واظبوا على قراءتها، حتّى من واظب عليها في كلّ يوم كشيخنا

(١) تنقيح المقال ٢ : ٢٥٧.

الأعظم الشيخ الأنصاري حيث كان يواظب من يوم بلوغه إلى آخر حياته على أن يقرأ كلّ يوم جزء من القرآن الكريم ويصلّي صلاة جعفر الطيّار ويزور زيارة عاشوراء وزيارة الجامعة هذه، كما كان يزور بها كلّ ليلة الإمام الخميني قدس سره أمير المؤمنين عند ضريحه المقدّس، وأوصى سيّدنا الأُستاذ السيّد المرعشي النجفي بها وإنّها ممّا تنير القلب. كما قال (ثلاث مرّات) صاحب الزمان عليه السلام للحاج علي البغدادي: (عليك بالجامعة)، كما جاءت قصّته في (مفاتيح الجنان) فراجع.

ثمّ لا نحتاج إلى إتعاب النفس لتصحيح السند لأنّ اعتماد الفقهاء والمحدّثين وكبار العلماء الأعلام رضوان الله عليهم عليها يغنينا عن ذلك، ويحصل لنا الاعتماد الكامل والقاطع بواسطة تمسّك كلّ الفقهاء والعظماء بهذه الزيارة كما هو واضح.

ثمّ فصاحتها وبلاغتها وسموّ معانيها تأبى أن تصدر من غير أهل البيت عليهم السلام، كما أشار إلى ذلك العلّامة السيّد عبد الله شبّر قائلاً: واعلم أنّ هذه الزيارة الشريفة لا تحتاج إلى ملاحظة سند، فإنّ فصاحة مشحونها وبلاغة مضمونها تغني عن ذلك، فهي كالصحيفة السجّاديّة ونهج البلاغة ونحوهما[1].

وقال العلّامة الشعراني في حواشيه على الوافي: ومع ذلك فالزيارة الجامعة مشتملة على معاني بعيدة كلّ البُعد أن يختلج ببال الرواة مثل نفس هذه الفقرات (ذكركم في الذاكرين) والظنّ الحاصل بصدور هذه الزيارة من أهل بيت العصمة صلوات الله عليهم أقوى ممّا يحصل من الإسناد الصحيح[2].

---

(١) الأنوار اللامعة في شرح زيارة الجامعة: ٣٣.

(٢) الوافي ٨: ٢٤٥.

وقال الشيخ أحمد الأحسائي: إنّ هذه الزيارة اشتهرت بين الشيعة حتّى استغنت باشتهارها عن ذكر إثباتها، وبيان سندها، فكانت متلقّاة عند جميع الشيعة بالقبول من غير معارض فيها ولا رادّ لها[1].

والمشهور أنّ الشهرة تجبر ضعف السند.

فهذه الزيارة من أشهر زيارات الأئمة الطاهرين عليهم السلام، وأعلاها شأناً وأكثرها ذيوعاً وانتشاراً، فقد امتازت بأهمّية بالغة بين الأدعية والزيارات المأثورة عن أئمة الهدى عليهم السلام، وقد أقبل أتباع أهل البيت عليهم السلام وشيعتهم على حفظها وزيارة الأئمة بها خصوصاً في ليلة الجمعة ويومها، وذلك لأنّها مرويّة بالإسناد عن الإمام الهادي عليه السلام وقد حاز سندها درجة القطع من حيث الصحّة، ولأنّها تشتمل على كلام فريد يزخر بالمعارف الإلهيّة السامية، ويبيّن حقيقة الإمام الذي يمثّل الحجّة التامّة للحقّ على جميع العالمين، ومحور كائنات الوجود، وواسطة الفيض بين الخالق والمخلوق، والجامع لكلّ الخير والمحاسن، والنموذج الكامل للإنسان، وقد جاء كلّ ذلك في أرقى مراتب البلاغة والفصاحة.

وقد اهتمّ علماء الشيعة بهذه الزيارة واعتبروها أفضل الزيارات الجامعة سنداً ومحتوى، ونقلها الشيخ الصدوق في الفقيه (٢: ٣٧٠) العيون (٢: ٢٧٢)، والشيخ الطوسي في التهذيب (٦: ٩٥)، والكفعمي في البلد الأمين (الصفحة ٢٩٧)، والعلّامة المجلسي في بحار الأنوار (١٠٢: ١٢٧)، وأوردها عن أصل قديم في الصفحة (١٤٦ ـ ١٦٠ من نفس الجزء) وأوردها المحدّث النوري في مستدرك وسائل الشيعة (١٠: ٤١٦) ورواها من أهل السنّة العلّامة الجويني في

---

(١) شرح الزيارة الجامعة ١: ٣.

فرائد السمطين (٢ : ١٧٩)، وغيرهم الكثير، فلا نطيل طلباً للاختصار.

ويكفينا في عظمة هذه الزيارة عُلوّ شأنها عند أصحابنا وعلمائنا الأعلام ما قاله العلّامة المجلسي عليه الرحمة في بحاره العظيم (٩٩ : ١٤٤) : إنّها أصحّ الزيارات سنداً وأعمّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنى، وأعلاها شأناً.

وقال أيضاً : ثمّ اعلم أنّي لمّا رأيت تلك الزيارة أيضاً في أصل مصحّح قديم من تأليفات قدماء أصحابنا سمّيناه في أوّل كتابنا بالكتاب العتيق أبسط ممّا أوردنا مع اختلافات في ألفاظها... (٩٩ : ١٤٦).

وقد عكف كثير من الأعلام على شرح هذه الزيارة العظيمة اهتماماً بها فشرحوا بعض ما ورد فيها ممّا يوجب الإيهام، وأوضحوا بعض ألفاظها ومعانيها المغلقة دفعاً للاعتراض وردّاً للانتقاد، وقد ذكر جملة منهم شيخنا الحجّة الرازي في كتابه القيّم (الذريعة إلى تصانيف الشيعة) فراجع.

شروح الزيارة

لقد شرحها كثير من الأعلام بشروح وافية زاهية ذات العمق العلمي والفكري والأصالة العقائدية، وقد ذكر جملة منها في (الذريعة للمحقّق آغا بزرك الطهراني ١٣ : ٣٠٥) :

١ ـ شرح (الزيارة الجامعة الكبيرة) للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي الذي تنسب إليه الطائفة الشيخيّة والكشفيّة المتوفّى قرب المدينة المنوّرة سنة ١٢٤٢ هق.

٢ ـ شرح الزيارة الجامعة : للمولى محمّد تقي المجلسي والد العلّامة المجلسي صاحب البحار والمتوفّى سنة ١٠٧٠ هق.

٣ ـ شرح الزيارة الجامعة، فارسي للسيّد حسين الهمداني المتوفّى سنة ١٣٤٤ اسم الكتاب (الشموس الطالعة).

٤ ـ شرح الزيارة الجامعة للسيّد عبد الله الشبّر الحسيني الكاظمي المتوفّى سنة ١٢٤٢ اسمه (الأنوار اللامعة).

٥ ـ شرح (الزيارة الجامعة) للعلّامة الميرزا علي نقي بن السيّد المجاهد الطباطبائي الحائري المتوفّى سنة ١٢٨٩ هـ.

٦ ـ شرح (الزيارة الجامعة) للسيّد بهاء الدين محمّد بن محمّد باقر الحسيني المعاصر للشيخ الحرّ توفّي بين الثلاثين والأربعين بعد المئة والألف.

٧ ـ شرح الزيارة الجامعة للسيّد محمّد البروجردي اسمه (الأعلام اللامعة).

٨ ـ الأنوار الساطعة في شرح زيارة الجامعة : للشيخ أحمد الكربلائي من المعاصرين في مجلّدات خمسة.

٩ ـ بحار الأنوار للعلّامة المجلسي المتوفّى سنة ١١١١ المجلّد ٩٩ الصفحة ١٢٧.

ويقول العلّامة المجلسي : إنّما بسطت الكلام في شرح تلك الزيارة قليلاً وإن لم أستوف حقّها حذراً من الإطالة لأنّها أصحّ الزيارات سنداً، وأعمّها مورداً، وأفصحها لفظاً، وأبلغها معنىً، وأعلاها شأناً.

دلالات الزيارة

بصورةٍ عامّة يمكن أن نستخرج ونستنبط من الزيارة دلالات أوّليّة ونقاط رئيسيّة في معرفة الإمام والإمامة، وهي كما يلي :

١ ـ الإمامة النّسبيّة :

فإنّ كلّ واحدٍ من أئمّة الدين والحقّ من أهل بيت رسول الله ﷺ ينتسب إليه، فكلّهم من بيت النبوّة، ورثوا الأنبياء في مقاماتهم ورسالاتهم السماويّة.

السلام عليكم يا أهل بيت النبوّة.

٢ ـ الإمامة المرتبطة بالله مباشرة :

محال معرفة الله، مساكن بركة الله، معادن حكمة الله، حفظة سرّ الله، حملة كتاب الله، المستوفرين في أمر الله، التامّين في محبّة الله، المخلصين في توحيد الله، المظهرين لأمر الله، عباد الله المكرمين الذين لا يسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون، بقيّة الله وخيرته وحزبه وعَيْبَةِ علمه وحجّته وصراطه ونوره وبرهانه.

٣ ـ الإمامة الخطّ الامتدادي للتوحيد والنبوّة :

أُمناء الرحمن، سلالة النبيّين، صفوة المرسلين، عترة خيرة ربّ العالمين، كهف الورى، ورثة الأنبياء، الدعوة الحسنى، حجج الله على أهل الدنيا والآخرة

والأُولى، حملة كتاب الله، أوصياء نبيّ الله، ذرّية رسول الله ﷺ، ورضيهم الله خلفاء في أرضه (الخلافة الإلهيّة) وحججاً على بريّته (الحجّة الالهيّة) وأنصاراً لدينه وحفظةً لسرّه، وخزنة لعلمه ومستودعاً لحكمته وتراجمة لوحيه، وأركاناً لتوحيده، ميراث النبوّة عندكم، وعندكم ما نزلت به رسله، وهبطت به ملائكته، وإلى جدّكم بُعث الروح الأمين.

٤ ـ صفات الإمامة :

الأئمة الراشدون المهديّون المعصومون المكرمون المقرّبون المتّقون الصادقون المصطفون، المطيعون لله، القوّامون بأمره، العاملون بإرادته، الفائزون بكرامته.

اصطفاكم الله بعلمه (العلم اللدنّي)، وارتضاكم لغيبه (علمهم بالغيب)، واختاركم لسرّه (الاختيار الإلهي)، واجتباكم بقدرته (الاجتباء الإلهي)، وأعزّكم بهداه (العزّة الإلهيّة)، وخصّكم ببرهانه (الاختصاص بالبرهان الإلهي)، وانتخبكم لنوره (الاجتباء النوري)، وأيّدكم بروحه (التأييد الإلهي).

عصمكم الله من الزلل (العصمة الذاتيّة)، آمنكم من الفتن (الأمان الإلهي)، طهّركم من الدنس وأذهب عنكم الرجس وطهّركم تطهيراً.

الحقّ معكم وفيكم ومنكم وإليكم، وأنتم اهله ومعدنه، ميراث النبوّة عندكم، أنتم السبيل الأعظم، والصراط الأقوم، وشهداء دار الفناء، وشفعاء دار البقاء، والرحمة الموصولة، والآية المخزونة، والأمانة المحفوظة.

كلامكم نور وأمركم رشد، ووصيّتكم التقوى وفعلكم الخير وعادتكم

الإحسان وسجيّتكم الكرم، وشأنكم الحقّ والصدق والرفق، وقولكم حكم وحتم ورأيكم علم وحلم وحزم. إن ذكر الخير كنتم أوّله وأصله وفرعه ومعدنه ومأواه ومنهاه. لكم المودّة الواجبة والدرجات الرفيعة والمقام المحمود والمكان المعلوم عند الله عزّ وجلّ والجاه العظيم والشأن الكبير والشفاعة المقبولة.

٥ ـ الإمامة العلميّة والأخلاقيّة علماً وخُلُقاً :

موضع الرسالة، مختلف الملائكة، مهبط الوحي، معدن الرحمة، خزّان العلم، أُصول الكرم، عناصر الأبرار، دعائم الأخيار، أبواب الإيمان، أئمة الهدى، مصابيح الدجى، أعلام التقى، ذوي النهى، أُولي الحجى، المثل الأعلى، الدعوة الحسنى.

٦ ـ الإمامة السياسية والمرجعية الدنيويّة :

قادة الأُمم، ساسة العباد، أولياء النعم، أركان البلاد، والقادة الهداة، السادة الولاة، الذادة الحماة، أهل الذكر وأُولي الأمر، أعلاماً لعباده، مناراً في بلاده، أقمتم حدوده، بقوله تحكمون.

٧ ـ الإمامة التبليغيّة والمرجعيّة الدينية :

الدعاة إلى الله، الأدلاّء على مرضاة الله، المظهرين لأمر الله ونهيه، الأئمة الراشدون المهديّون، عظّمتم جلاله، أكبرتم شأنه، مجّدتم كرمه، أدمتم ذكره، وكّدتم ميثاقه، أحكمتم عقد طاعته، نصحتم له في السرّ والعلانية، دعوتم إلى

سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة، بذلتم أنفسكم في مرضاته، صبرتم على ما أصابكم في جنبه، أقمتم الصلاة، آتيتم الزكاة، أمرتم بالمعروف، نهيتم عن المنكر، جاهدتم في الله حقّ جهاده، أعلنتم دعوته، بيّنتم فرائضه، نشرتم شرائع أحكامه، سننتم سنّته، صرتم في ذلك منه الرضا، وسلّمتم له القضاء، وصدّقتم من رسله من مضى، إلى سبيله ترشدون، بموالاتكم علّمنا الله معالم ديننا وأصلح ما كان فسد من دنيانا، وبموالاتكم تمّت الكلمة، وعظمت النعمة، وائتلفت الفُرقة، وبموالاتكم تقبل الطاعة المفترضة، ولكم المودّة.

الإمامة المرجعيّة الدينية: أدلّاء على صراط الله، بيّنتم فرائضه، فصل الخطاب عندكم، آيات الله لديكم، عزائمه فيكم، نوره وبرهانه عندكم، أمره إليكم. إلى الله تدعون وعليه تدلّون وبه تؤمنون، له تسلّمون، بأمره تعملون، يا وليّ الله إنّ بيني وبين الله عزّ وجلّ ذنوباً لا يأتي عليها إلّا رضا الله ورضاكم، فبحقّ من ائتمنكم على سرّه واسترعاكم أمر خلقه وقرن طاعتكم بطاعته، لما استوهبتم ذنوبي، وكنتم شفعائي.

٨ ـ الإمامة والمرجعية التكوينية والولاية الإلهيّة العظمى:

شهداء على خلق الله، أرباب الخلق إليكم وحسابهم عليكم، أشهد أنّ هذا سابق لكم فيما مضى وجار لكم فيما بقي وأنّ أرواحكم ونوركم وطينتكم واحدة، طابت وطهّرت بعضها من بعض، حلقكم الله أنواراً فجعلكم بعرشه محدقين، حتّى مَنَّ علينا بكم، فجعلكم في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه. جعل صلواتنا عليكم وما خصّنا به من ولايتكم طيباً لخلقنا وطهارة لأنفسنا وتزكية لنا وكفّارة

لذنوبينا. بكم فتح الله وبكم نحكم (أي هم أوّل الخلق وآخره وهذا معنى المرجعية التكوينية) وبكم ينزّل الغيث وبكم يمسك السماء أن تقع على الأرض إلّا بإذنه، ولكم ينفّس الهمّ، وبكم يكشف الضرّ.

٩ ـ كرائم الله في الإمامة والأئمة:

بلغ الله بكم أشرف محلّ المكرّمين، وأعلى منازل المقرّبين، وأرفع درجات المرسلين، حيث لا يلحقه لاحق، ولا يفوقه فائق، ولا يسبقه سابق، ولا يطمع في إدراكه طامع، حتّى لا يبقى ملك مقرّب، ولا نبيّ مرسل، ولا صدّيق ولا شهيد ولا عالم ولا جاهل ولا دنيّ ولا فاضل ولا مؤمن صالح ولا فاجر طالح ولا جبّار عنيد ولا شيطان مريد ولا خلق فيما بين ذلك شهيد إلّا عرّفهم جلالة أمركم (المعرفة الجلالية لعموم الخلق) وعظم خطركم وكبر شأنكم وتمام نوركم وصدق مقاعدكم وثبات مقامكم وشرف محلّكم ومنزلتكم عنده وكرامتكم عليه وخاصّتكم لديه، وقرب منزلتكم به، آتاكم الله ما لم يؤت أحداً من العالمين، طأطأ كلّ شريف لشرفكم، ونجع كلّ متكبّر لطاعتكم، وخضع كلّ جبّار لفضلكم، وذلّ كلّ شيء لكم، وأشرقت الأرض بنوركم، وفاز الفائزون بولايتكم، بكم يسلك إلى الرضوان وعلى من جحد ولايتكم غضب الرحمان. ذكركم في الذاكرين، وأسماؤكم في الأسماء، وأجسادكم في الأجساد، وأرواحكم في الأرواح، وأنفسكم في النفوس، وآثاركم في الآثار، وقبوركم في القبور، فما أحلى أسماءكم وأكرم أنفسكم وأعظم شأنكم وأجلّ خطركم وأوفى عهدكم وأصدق وعدكم.

١٠ ـ طوائف الناس في قبول الإمامة وعدمها أو التقصير فيها ومدى تعلّقهم بالإمامة والأئمة الأطهار عليهم السلام :

الراغب عنكم مارق واللازم لكم لاحق، والمقصّر في حقّكم زاهق، إياب الخلق إليكم، وحسابهم عليكم، من والاكم فقد والى الله، من عاداكم فقد عادى الله، من أحبّكم فقد أحبّ الله، من أبغضكم فقد أبغض الله، من اعتصم بكم فقد اعتصم بالله، أنتم الباب المبتلى به الناس من أتاكم فقد نجى، ومن لم يأتكم فقد هلك، سعد من والاكم، وهلك من عاداكم، خاب من جحدكم، ضلّ من فارقكم، فاز من تمسّك بكم، أمن من لجأ إليكم، سلم من صدّقكم، هدي من اعتصم بكم، من اتّبعكم فالجنّة مأواه، ومن خالفكم فالنار مثواه، من جحدكم كافر، من حاربكم مشرك، من ردّ عليكم في أسفل درك من الجحيم، جعل صلواتنا عليكم وما خصّنا بهمن ولايتكم طيباً لخلقنا... كلّنا عنده مسلّمين بفضلكم، ومعروفين بتصديقنا إيّاكم، بأبي أنتم وأُمّي وأهلي ومالي وأُسرتي (تفدّى كلّ شيء من أجلهم)، أُشهد الله وأُشهدكم (العلم والشهود والشهادة) أنّي مؤمن بكم وبما آمنتم به، كافر بعدوّكم وبما كفرتم به (الولاية والبراءة) مستبصر بشأنكم (الاستبصار) وبضلالة من خالفكم، موالٍ لكم ولأوليائكم مبغض لأعدائكم ومعادٍ لهم، سلم لمن سالمكم حربٌ لمن حاربكم، محقّق لما حقّقتم، مبطل لما أبطلتم، مطيع لكم، عارف بحقّكم، مقرّ بفضلكم، محتمل لعلمكم، محتجب بذمّتكم (ذمّتهم ذمّة الله) معترف بكم مؤمن بإيابكم، مصدّق برجعتكم، منتظر لأمركم، مرتقب لدولتكم (دولة الإمام المهدي عليه السلام) آخذ بقولكم، عامل بأمركم، مستجير بكم (الاستجارة

بهم استجارة بالله كالاستجارة عند الركن المستجار) زائر لكم (من شعار الموالين) عائذ بكم لائذ بقبوركم (تنزل الرحمة الإلهيّة عندها) مستشفع إلى الله عزّ وجلّ بكم (الشفاعة) ومتقرّب بكم إليه (إطاعتهم وقبرهم إطاعة الله وقربه كإطاعة النبيّ وقربه) مقدّمكم أمام طلبتي وحوائجي وإرادتي، في كلّ أحوالي وأُموري، مؤمن بسرّكم وعلانيتكم، وشاهدكم وغائبكم، وأوّلكم (أمير المؤمنين علي) وآخركم (صاحب العصر والزمان عليه السلام) ومفوّض في ذلك كلّه إليكم ومسلّم فيه معكم، قلبي لكم مسلّم (الإطاعة القلبيّة) ورأيي لكم تبع (الإطاعة العمليّة) ونصرتي لكم معدّة، حتّى يحيي الله تعالى دينه بكم ويردّكم في أيّامه (أيّام الله) ويظهركم لعدله ويمكّنكم في أرضه، معكم معكم لا مع عدوّكم، آمنت بكم، وتولّيت آخركم بما تولّيت به أوّلكم، وبرئت إلى الله عزّ وجلّ من أعدائكم، ومن الجبت والطاغوت والشياطين وحزبهم الظالمين لكم والجاحدين لحقّكم، والمارقين من ولايتكم والغاصبين لإرثكم، والشاكّين فيكم، والمنحرفين عنكم ومن كلّ وليجة دونكم، وكلّ مطاع سواكم، ومن الأئمة الذين يدعون إلى النار. فثبّتني الله أبداً ما حييت على موالاتكم، ومحبّتكم ودينكم ووفّقني لطاعتكم ورزقني شفاعتكم وجعلني من خيار مواليكم، التابعين لما دعوتم إليه، وجعلني ممّن يقتصّ آثاركم ويسلك سبيلكم ويهتدي بُهداكم، ويحشرني في زمرتكم، ويكرّ في رجعتكم ويُملّك في دولتكم، ويشرف في عافيتكم، ويمكّن في أيّامكم، وتقرّ عينه غداً برؤيتكم، بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي. من أراد الله بدأ بكم، ومن وحّده قبل عنكم، ومن قصده توجّه بكم، مواليّ لا أحصي ثناءكم، ولا أبلغ من المدح كنهكم، ومن الوصف قدركم، وأنتم نور الأخيار وهداة الأبرار

وحجج الجبّار، بأبي أنتم وأُمّي ونفسي وأهلي ومالي، ربّنا آمنّا بما أنزلت واتّبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين، ربّنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا وهب لنا من لدنك رحمة إنّك أنت الوهّاب، سبحان ربّنا إنّه كان وعد ربّنا لمفعولا ... فإنّي لكم مطيع من أطاعكم فقد أطاع الله ومن عصاكم فقد عصى الله، ومن أحبّكم فقد أحبَّ الله، ومن أبغضكم فقد أبغض الله. اللهمّ إنّي لو وجدت شفعاء أقرب إليك من محمّد وأهل بيته الأخيار الأئمة الأبرار لجعلتهم شفعائي، فبحقّهم الذي أوجبت لهم عليك أسألك أن تدخلني في جملة العارفين بهم وبحقّهم وفي زمرة المرحومين بشفاعتهم، إنّك أرحم الراحمين، وصلّى الله على محمّد وآله الطاهرين، وسلّم تسليماً كثيراً، وحسبنا الله ونعم الوكيل.